المحاضرة السادسة **مصادر تاريخ الغرب الإسلامي**

كتب الجغرافيا والرحلة

1 كتب الجغرافيا. الجغرافيا كلمة يونانية تعني وصف الأرض، وهي العلم الذي يدرس الارض من حيث الظواهر الطبيعية والبشرية، وكتب الجغرافيا التاريخية هي مصادر تهتم بالجوانب الطبيعية والبشرية، للحادثة التاريخية، بمعنى إنها لا تقتصر في دراستها على الظروف الطبيعية للماضي، وإنما تهتم بدراسة النشاط البشري كذلك. ويمكن أن ندرج في هذا المجال الدراسات المتعلقة بالهجرات البشرية. ومجمل القول إن الجغرافيا التاريخية تضم في رحابها وجهي الجغرافيا الطبيعية والبشرية لتجعلهما علماً واحداً، موضوعه جغرافيا العصور السابقة.

وقد اشتهرت في التراث الإسلامي مجوعة من المصادر اهتمت بتاريخ الغرب الإسلامي ومن أهمها:

نزهة المشتاق في إختراق الآفاق: مؤلفه هو محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن عبد الله بن الحسن بن علي - رضي الله عنه - الشريف الإدريسي.

وينتمي أبو عبد الله إلى الأدارسة العلويين ولهذا سمي بالشريف الإدريسي، من المعروف لدى كثير من الذين كتبوا عن الإدريسي أنه ولد في (سبتة) وهي إحدى بلاد المغرب، وذلك في سنة 493 هـ/ 1099م. وفي أيام شيخوخته رجع إلى مسقط رأسه سبتة وتوفي فيها عام 650 هـ/ 1160م على أرجح الأقوال.

يعتبر كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" من أهم المؤلفات الجغرافية في تاريخ التراث الإسلامي، وهذا الكتاب هو الذي جعل للإدريسي هذه الشهرة بين الشرقيين والغربيين على حد سواء. تقول دائرة المعارف الفرنسية: «أن كتاب الإدريسي في الجغرافيا هو أعظم وثيقة علمية جغرافية في القرون الوسطى.

ويذكر الإدريسي أنه ألف الكتاب تلبية لطلب الملك النورماني روجر الثاني ملك صقلية، حيث يقول في مقدمة كتابه: "أنه لما اتسعت أعمال مملكته، أحب أن يعرف كيفيات بلاده حقيقة ويقتلها يقيناً وخبرة ويعلم حدودها ومسالكها براً وبحراً وفي أي إقليم هي وما يخصها من البحار والخلجان الكائنة بها مع معرفة غيرها من البلاد والأقطار في الأقاليم السبعة.

اتَّبع الإدريسي النظام البطليموسي، فقسّم نصف الكرة الشمالي إلى سبعة أقاليم مناخية ذات عرض متساوٍ، وقسم كلاً منها بدوره بخطوط طول إلى عشرة أقسام متساوية، مما أنتج 70 خريطة مقطعية في الإجمال تُشكل عند وضعها معاً خريطة مستطيلة للعالَم المعروف آنذاك. الخرائط مرسومة بحيث يكون اتجاه الشمال إلى الأسفل. يصف النص المصاحب الأحوال الاجتماعية-الاقتصادية والفيزيائية والثقافية والسياسية لكل منطقة. هناك خريطتان مفقودتان من هذه النسخة: خريطة المقطع الأول وخريطة المقطع الثاني من الإقليم المناخي السابع. الصحائف الأولى أصابها التلف إلى حد ما، والصحيفة الأخيرة مفقودة، وهي تحتوي على المقطع العاشر من الإقليم المناخي السابع. أعيدت لملمة صحائف أخرى ضمن المجلد معاً لكن هناك أجزاء منها مفقودة. تشمل هذه النسخة خريطة لنصف الكرة الأرضية رُسمت بعناية، و68 خريطة أخرى رُسِمت جميعها ولُوِّنت بعناية. من المحتمل أن هذه الخرائط هي الأفضل من ناحية الصَنعة من بين جميع الخرائط العربية التي رُسمت في العصور الوسطى.

<u>الرَّوْضُ المِعْطَارُ فِي خَبَرِ الأَقْطَارِ</u>، من تأليف محمد بن عبد المنعم الحميري ت: (900هـ/1495م). وقد اختلف بين تنكير كلمة «روض» أو تعريفها، وكذلك بين (خبر الأقطار) أو (أخبار الأقطار) أو (ذكر الأقطار) وتتفق المخطوطات التي أُعتمدت على أنه «الروض المعطار في خبر الأقطار». ولقد حرص الحميري على أن يجعل من كتابه معجماً جغرافياً تاريخياً، غالباً على الأماكن المشهورة التي تتصل بها قصة أو حكمة طريفة وصولاً إلى الخبر العجيب أحياناً.

وعلة اهتمامه بالأحداث التاريخية رغبته في تجاوز كتاب "نزهة المشتاق لاختراق الآفاق" للادريسي ومع هذا فقد بقي ظل «نزهة المشتاق» واضحاً في كتابه. وقد رتب

الحميري «روضه» على حروف المعجم حسب ترتيبها المشرقي، وساير الترتيب المغربي في داخل الحرف الواحد ومع حرصه الشديد على الإيجاز إلا أن اعتماده النقل بدلاً من التجربة الشخصية، جعلت قيمته لا تتعدى تكرار الموجود في المصادر السابقة عليه. ولكن بفقدان بعضها بقي (الروض) هو المعول عليه والمعتمد عليه في التأريخ لكثير من الحوادث.

كتاب معجم البلدان: مؤلفه هو الأديب والشاعر الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي المشهور بياقوت الحموي ت:(626هـ/ 1228م)، استفاد ياقوت من رحلاته الكثيرة التي سمحت له بتأليف هذا الكتاب الذي، يعتبر فضلا على كونه معجما جغرافيا هاما فهو كتاب تاريخ وأدب.

ويعد معجم البلدان مصدراً هاماً. وتمت طباعتهِ عدة مرات وترجم إلى مختلف اللغات. كما أن الكتاب يحتوي على وصف لبلدات ومدن ودول عديدة خلال تلك الفترة بأسلوب بليغ. ويذكر في كتابهِ المواضيع التالية:

- ذكر صورة الأرض وما قالهُ المتقدمون والمتأخرون من العلماء فيها.
- أخبار البلدان والتي يختص ذكرها بموضع دون آخر.
- تعريف لوحدات القياس المتداولة في زمانهِ كالفرسخ والبريد والكورة.
- تعريف بمعنى الأقليم وطبيعتهِ.
- تعريف بالأراضي والأقاليم التي ينتشر فيها الإسلام زمان تأليف الكتاب.
- ذكر البوادي والقفار ومنازل العرب اعتمادا على الشعر العربي والنثر المغني.

ومن الكتب الأخرى هتاك كتب الجغرافيا لابن سعيد المغربي، وكتاب المسالك والممالك لابي عبيد الله البكري، وكتاب صورة الأرض لابن حوقل،

2 كتب الرحلة: وهي من المصادر الجغرافية والتاريخية الهامة حيث يمكن للباحث الاعتماد عليها في الدراسات التاريخية والجغرافية والاجتماعية وحتى الاقتصادية، فصاحب الرحلة سجل هذه الظواهر كشاهد عيان من خلال الحضور المباشر، وقد اشتهرت بلاد المغرب والاندلس بظاهرة الرحلة وقد نتج عنها نوع من الادب الذي يصور الاحداث بأسلوب وصفي سردي عرف بأدب الرحلة، والرحلة أنواع منها العلمية والدينية والسياسية

والاستكشافية وغيرها، وقد سجل هؤلاء الرحالة كل الاحداث التي صادفتهم وما شاهدوه اثناء الرحلة في كتب عرفت بكتب الرحلة.

ومن أبرز كتب الرحلة، رحلة ابن جبير ورحلة العبدري المعروفة بالرحلة المغربية، ورحلة ابن بطوطة المعروفة بتحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، ورحلة ابن رشيد السبتي المعروفة بملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة، ورحلة القلصادي، ورحلة النميري، ورحلة البلوي المعروفة تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، وغيرها من كتب الرحلة.

سي عبد القادر